الباب التاسع

لحظات فارقة

المقال الأول
الوصية

حين كنت في مرحلتي الجامعية، وهي مرحلة نقف على أطلالها، ننظر في أيامها كيف كانت، وحيث كانت، فمرت وتعاقبت الجامعة الحياة العسكرية، وبدت الحياة العامة والعملية، وقد كنت أقرض الشعر وما زلت، فطاف بخيالي ما استشعره بالاقتراب، كالجسد حين يبدو عليه الاغتراب، إنه الرحيل، هل تخيل أحد منا كيف يكون لحظة الرحيل؟!

ان الحياة فيما حولنا، نرى فيها زينة وأضواء، نتسابق في أرجاء الدنيا وقلوبنا تنساق وراء الزخارف، وحين نصاب بالوهن والضعف ننصح غيرنا ونحن في أحوج ما يكون للنصح، وحين نفقد عزيزا علينا لفراقه لدار الآخرة نظل نذكره لفترة تطول أو تقصر إلا أنه في النهاية تخمد موجة الحزن على شاطئ الأيام المتباعدة، إنها غفلة تعيدنا مرة أخرى لموج الانفلات **{اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون}.الأنبياء ١**، فعجبا من حال البشر، لا ينفع فيهم التذكير وغاب عنهم التدبير إلا من رحم فهم قليل، ونسينا نعما كثيرة حولنا، **{وقليل من عبادي الشكور}**. إن أجمل ما الدنيا هو أن نتدبر فيما حولنا، وأن نعي ونفهم، فإن مستقبلات الحياة من سمع وبصر، تكون بداخلنا إما بالقبول و إما بالإعراض **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. [طه:١٢٤-١٢٦]**، فيا له من إعراض، فإن من يعرض عن ذكر الله، فلم يؤد حق الله هذا جزاؤه تكون له معيشة ضنكا وإن كان في مال كثير وسعة، لكن يجعل في عيشته ضنكاً، لما يقع في قلبه من الضيق والحرج والمشقة فلا ينفعه وجود المال يكون في حرج وفي مشقة بسبب إعراضه عن ذكر الله وعن طاعة الله جل وعلا، ثم يحشر يوم القيامة أعمى.

فالمقصود أن هذا فيمن أعرض عن طاعة الله وعن حقه جل وعلا، ولم يبالِ بأمر الله بل ارتكب محارمه وترك طاعته جل وعلا.

أبعد كل هذه الإشارات التى تردنا وتصل إلى مسامعنا ماذا ننتظر بعد؟ إنه ذكر الله نملأ به القلوب، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، ولعلنى أرى فى الآية الكريمة حين يقول الله سبحانه : **{واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون}.البقرة ٢٨١**، تعالوا لنتدبر آخر وصية قرآنية نزلت فيها صلاحنا وفيها النجاة. إن هذه الآية أخر ما نزل من القرآن العظيم وقد عاش النبى، صلى الله عليه وسلم، بعد نزولها تسع ليال ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى، إنها آية تنبهنا قبل الرحيل، قبل أن نلقى الله سبحانه، فى يوم مجازاة الأعمال، فهناك من سبقونا وينتظرونا فى يوم جزاء وثواب ومحاسبة، توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أحضرت، فتوفى جزاءها بالعدل من ربها، وهم لا يظلمون، إن الترجمة العملية فى الرحيل والاستعداد له هو تقوية هممنا فى الإسراع إلى المساجد، وبر الوالدين، وصله الأرحام، والصدقة، والإحسان إلى الفقراء والأرملة واليتيم، وغض البصر وحفظ الفرج، وكف الأذى وحفظ اللسان، والوفاء بالعهد وقيام الليل، وقراءة القرآن، وصيام النهار.

علينا أن نسارع إلى الخير فيما بيننا لنكون من الفائزين، ويوم الحشر مع الآمنين، ونكون ممن ينادى عليهم : **{يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون}.الزخرف ٦٨**، حيث تتلقانا الملائكة وتطمئننا حتى لا نفزع مما نراه فى ذلك اليوم، بل وتبشرنا بجنة الخلد : **{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون}. فصلت ٣٠**، فمن أراد الفوز والنعيم المقيم و السعادة والنجاة فعليه ألا يبرح هذه الآية خياله و لا تغيب عن باله **{واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله }**. إنه يوم ليس ككل الأيام، إنه يوم الرجوع إلى رب العالمين، تجتمع فيه الخلائق أجمعون، يخرجون من قبورهم.... الكل فى انتظار الحساب.علينا أن نتذكر حين اشتد الوجع بالنبى وقت لقاء الله تعالى بدأ يتصبب عرقاً، تقول عائشة رضى الله عنها سمعته يقول «لاإله إلا الله إن للموت لسكرات».. إنه الرسول صلى الله

عليه و سلم الذى يشعر بتلك السكرات، فما بالنا نحن فى تلك اللحظات، ونحن العصاة المذنبون؟! إن آخر وصية أوصى، صلى الله عليه وسلم، فى آخر وصاياه :»و الله ما الفقر أخشى عليكم ,و لكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم ,فتهلككم كما أهلكتهم «. فنسألك ربى أن تحسن ختامنا، وتملأ قلوبنا بذكرك، وأن تذكرنا بخيرى الدنيا والآخرة، وتجعل القرآن ربيع قلوبنا وتلهمنا حب الخير.

المقال الثانى
رحمة المقسوم

توقفت أمام المشاهدات اليومية من تصرفات الآخرين بعضهم بعضا، وكيف يتعامل كل منهم مع الآخر، ومن يستغل من؟ ومن يتعامل بسخرية وتهكم؟ ومن يتطاول على الآخر؟ ومن يتعدى حدود الاحترام؟ بل يتجاوز الأمر حد الانتهاز والسخرية فى العمل بل يصل إلى أكل الحقوق، ووجدت أمام نفسى سؤالا هاما: أنسى هؤلاء معنى الرحمة؟ وكيف أن البشر يعيشون بينهم فى صراع الحياة للحصول على ما يسد احتياجاتهم و نسوا الكثير، فمن يرزقهم؟ ونسى كثير منهم الرحمة فيما بينهم، ولو تأمل البشر الآية التالية من سورة الزمر والتى تهز الأبدان وهى **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.(الزمر:٤٢)**، فمن منا ضمن حياته بعد لحظة واحدة، ان من يفهم معنى الآية جيدا سيملأ قلبه بالرحمة على الآخرين. والتدقيق فى كلمة الرحمة ما هى إلا رقة تقضى الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل فى الرقة المجردة، والرحمة من الله إنعام وأفضال فما أجمل الرحمة بين البشر فيما بينهم، ولعلك ترى فى عنوانى رحمة المقسوم، فمعنى المقسوم وهو ما يخصص أو يجزأ بحصص، فنحن فى الحياة لنا حصة بها، فمن يقسمهما، ومن يرحمنا، إن البشر يعتقدون أن الأرزاق بيدهم، و نسوا كثيرا فى فضل العطاء وأصبح عطاء الكثير من البشر مِنَّة على الآخرين.وقد يضطرب الكثير ويقلق على عيشه، وعلى عمله ,من خوف الانقطاع، وخوف الاستجداء، وخوف الرجاء، ان خوف الانقطاع من الرزق مأمون، وخوف الاستجداء مكفول، وخوف الرجاء مكنون فكيف؟ و نحن خلقنا الله ودبر لنا الرزق فَلِمَ الخوف من الغد وقسمة الغد بين يديه يرزق من يشاء بغير حساب، أليس الله بكاف عبده، فلم القلق،

ولم الخوف من العيشة أو الرزق، وللنظر للآية **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}. (٣٢) – سورة الزخرف.** وبالنظر للآية الكريمة نرى أن البشر لا يملكون تقسيم الرزق، وان الله، سبحانه وتعالى، بيده كل شيء، إن الغنى والفقر، والقوى والضعيف، وكل نقيض منتقص ليكمل الآخر، فكل انتقاص يسعى للاكتمال فتتحرك الدنيا لتصل إلى الاكتمال، وعند الاكتمال نرى أنها انتهت، **{إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون}**. (يونس: ٢٤). إن رحمة المقسوم نراها فى الآية ٣٢ من سورة الزخرف، فالله، سبحانه وتعالى، من رحمته أن قسم الأرزاق فيما بيننا، وليس البشر سواء مرؤوسك أو مديرك أو من هو أعلى منك أو من بيده أمرا، فلا يوجد بشر بيده الرزق على الإطلاق، والله سبحانه وتعالى هو الرزاق، وان الغيبيات الخمسة بيد الله وليست بيد البشر: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَى أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**. (لقمان، ٣٤). إن الإنسان يجب ألا يقلق ولا يضطرب فى حياته فكما يقول الحسن البصرى: «علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى»، إنها رحمة المقسوم بين البشر، ولا يوجد بسط مطلق فى رزق البشر: **{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ}**. (الشورى: ٢٧)، فسبحانك ربى يا من بيده ملكوت السموات والأرض.

المقال الثالث
مساحة الفوضى الأخلاقية

كما تعودت بعد الانتهاء من صلاة الفجر أن ابدأ فى تلاوة المقرر اليومى من جزء القرآن والذى أنعم الله علىَّ من فضله، اعتدت أن أتصفح بعضا من العناوين، ولأن عادة التصفح هى عاده مكتسبه بالتدريب والاعتياد عليها، فأبدأ بمتابعة سريع الخبر، وأتصفح فى البلاء الشيطانى، فى كل نواحى المتابعة، أبحث عن خبر يدعو ويبشر بكثير من الخير، فلم أجد إلا ما ندر، وتحولت الأخبار إلى مساحة يومية من الفوضى الأخلاقية، وكأنها فوضى تغيب فيها العقول وكأن غير الناس يقودهم وليس الناس أنفسهم، فعدت لنفسى أتذكر الآيات التالية **{قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا}**.الإسراء ٦٢، وكذلك ٣٩ من سورة الحجر – **{قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}**. والآية ١٦ من الأعراف: **{لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين}**. توقفت للتدقيق والتمعن فيما يجرى حولنا، من مغالطات، ومن مفاهيم تزيد من مساحة الفوضى الأخلاقية، و أتوقع أن تزيد هذه المساحة، ويزيد ثقلها حتى تجرجر معها أقدام القيم إلى المنزلق الكبير وللفوضى العارمة كتسونامى، لقد غيبت العقول إلا من رحم. إن التصرفات التى تجرى حولنا ما هى إلا مخرجات التربية الأسرية، وقصور فى الأسرة والسلوك الذى لا يرى من يوجهه وغياب القدوة على كل المستويات، وإن العبث فى مفهوم ما يطلق عليه بالحرية لهو أمر غير مقبول أنت حر هذا منطق، ولكن ماذا يحدث لو جلبت لغيرك الضر، فقبل أن تعلن بوجه الحرية القبيح، عليك أن تعلم أن للحرية المدعى عليها وجه آخر لا يخدش حياء الآخرين، والدعوة إلى الحرية الشخصية هى دعوة إطلاق عنان الفجور،

إنها منظور الاستباحة، فالخلط بين الحرية والاستباحة هو الهياج الأخلاقى فى كل شيء، هو غياب الارتباط بين التوجيه والدين، وأصبح حتى مفاهيم الدين أن تقول بحريتك ما شئت، وهذا أخطر أنواع الحريات، إن من يعطى لنفسه الحرية فى كل المجالات كمن يمزق ثوب الحياء المغطى به، إن أخطر ما يصيب الإنسان هو الغرور والغباء، إنها نواة ادعاء الحرية وغياب العقل، لكى تقول ما تشاء وكما شئت فى صلف وغرور من وعاء الغباء، ولم يعد للحياء وجه فى حياتنا، إننا لو رجعنا إلى الآيات السابقة والتى ذكرتها، ففى الآية قال: **{أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا}**. فلفظ **{لأحتنكن}**. التى بالآية إذا نظرنا إلى احتنك فلانا أى استولى عليه واستماله، استأصله عن طريق (الإغواء والإضلال)، إنه الشيطان الذى يقود البشر الآن، إنها النفس الأمارة بالسوء، إننا نقاد ولا نحكم أنفسنا فى الانقياد، فإذا قلنا احتنك الفرس أى جعل الرسن فى فمه أى اللجام، فالشيطان يضع فى الأفواه اللجام ويركب البشر ويقود فماذا ننتظر من شيطان يقود حصانا؟! يحركه كما يشاء فهو مكبل رغم حرية العيون التى لا ترى من الحياة غير أنها طليقة، بل بالعكس أنها مكبلة، فى غيابات الجب للعقل الهالك، وفى الآية: **{قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}**. من لم يستطع الشيطان أن يقوده فإنه يزين له الدنيا ويغويهم إلى طريق الهلاك ويكون من خلال النفس الأمارة السوء وهى القرين بداخل البشر، إن من يدقق فى الآيات المذكورة يعلم تماما أن السبب الحقيقى فى زيادة مساحة الفوضى الأخلاقية التى نراها هذه الأيام وراء ذلك كله الشيطان، إنه العدو: **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}**. – فاطر٦، وإذا نظرنا للآية: **{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِى مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}**. (فاطر٨).

إذا دقق فى الآية ٨ من سورة فاطر سنصل إلى أن الحرية المزعومة والمطلقة من الشيطان الذى ينفث فى البشر حتى تصاب بالغرور، وأن أول ما يصاب بالغرور والغباء وهما متلازمة لا تتجزأ نرى هذه المساحة الأخلاقية فى انهيار

وهو متوقع لماذا لابتعاد البشر عن قيم عقيدتهم الربانية وصدق الله تعالى **{اقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مّن ذِكْرٍ مّن رّبّهِمْ مّحْدَثٍ إِلاّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ}**.(الأنبياء : ١-٢) لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، اللهم أصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت لا إله إلا أنت إنى كنت من الظالمين، الله ربى لا أشرك به شيئا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

المقال الرابع
ما أثقل الحمل ... لقطات من حياة

ما أثقل الحمل حين أحمله، وما أصعب القيد حين يزيد من قيد الحركة، كيف وصل بى الأمر؟ لم صرت هكذا؟ أو هكذا صرنا؟ كيف صارت الدنيا حولنا؟ أأضللت الطريق، أم أنه لم يكن موجودا أصلا؟ هل يحن الحنين إلى قاتله؟ ولا نتعلم من الدرس، شُوِّشَت كل الأفكار فى رأسى بعد هذا العمر، فتمنيت ألا يكون عندى معرفة ولا علم، وتمنيت أن يكون الجهل عنوانى، نعم عنوانى وكيف لا؟ وهذا العلم قد اختفت ملامحه، واستبدل هذا العلم فى مزامير الغناء وأبواق الراقصين، وكأنه عصر الغانيات، فلا طعام أجده حتى أقتات، ولا حرفا من العلم منه استفدت به، لقد أصبحت فى طابور المتسولين، أتسول رغيف عيش، ألم أعد قادرا على زراعة حبات القمح، فتصطك بأسنانى وعقلى عجاف يوسف، يا لها من تناقضات، عادت ذاكرتى إلى الخلف، وليتنى أتذكر، أتذكر طفولتى، طفولة فى نهد يرضعنا، فنكبر على أصوات أماتنا، وعلى صوت جدتى العجوز، حين تقوم بإيقاظ الجميع، تقوم بإشعال التنور، تحضر عيدان الحطب، فتشعل به اللهب، وفى لحظة واحدة تجد نفسك فى خلية نحل، لا تعلم من يفعل ماذا، المهم أن الكل يعمل، لم نعتاد الا كل يوم على هذه الأصوات، حين تنادينى جدتى أن أذهب إلى دولاب الخزين فى ساحة البيت عن يمينه، لأحضر لها قليلا من السمن البلدى، فأختلس منه قليلا لنفسى، وكأنه ترياق الصباح، فكانت تقوم بعمل الخبز الصباحى، و يا له من خبز، لم أعد أراه الآن، وفى لحظات معدودة، وبعد أن يقوم ما فى البيت، بصلاة الفجر، تبدأ الموجة الثانية من العمل، نعم فهذا يجهز أولاده إلى المدرسة، فهؤلاء أولاد عمتى، يستعدون للذهاب معى إلى المدرسة، ورغم أنها تبعد ليس بالقليل، إلا أننا نأخذ المسافة سيرا، وكان يزاحمنا فى

الطريق كثيرا من الأبقار والجاموس حين تذهب إلى الغيطان المجاورة، الجاموس الممتلئ وليس جاموسا عجافا كما أراه اليوم، تذكرت فى هذه اللحظة، حين اصطحبنى ابن عمتى وثلاث من أطفال العائلة التى تعيش فى دوار كبير مقسم إلى غرف كثيرة، وكل غرفة هى مملكة لكل أسرة تنتهى الغرف التى تقف على يمين ويسار الممر، وتنتهى بالفرن فى المقدمة، الذى يشعل يوميا، وأتذكر سلما خشبيا، يصعد بنا للدور الثانى والذى كانت أمى تقطن بهذا الجناح الخاص بها كما أفرد لها أبى الابن الأكبر للأسرة، وصاحب المسئولية بعد وفاة جدى، وقد كان يلاصق ببيت جدى، بيت عمى اسكندر، وكان بين المنزلين، فتحة تطل على كل من المنزلين و كأنهما بيت واحد مفتوح، وأتذكر كثيرا من المرات نتناول أطباق الغذاء سواء من قبلنا أو من قبلهم حين كانت تنادى زوجة عم اسكندر على أمى فتعطيها طبقا من الطعام والعكس، وكان البيتان ملتصقين لا تميز فيه من هو بيت آل جمعة، ولا من هو بيت آل اسكندر، حيث كانت المصطبة تمتد على البيتين خارجهما فنجلس فى ساعات المغرب، أعود بذاكرتى حين اصطحبنى أولاد عمتى إلى مكتب تحفيظ القرآن، والذى كان يبعد عن الدوار الخاص بنا مسافة ليست بقليله والذى يجمع فيه العائلة الواحدة من جدتى وأبى وعمى الذى كان يدرس بمدرسة المهندس خانه، ذهبت إلى الكتاب وجلسنا جميعا نرتدى جلبابا، وعلى صدرى لوح الإردواز، و شنطة تميل إلى اللون الأصفر ومصنوعة من القماش صنعتها لى أمى فهذا أول يوم لى بالكُتاب وأول يوم لى بالتعليم الذى يبدأ منه كل أطفال بلدتى قبل أن نتجه إلى المدرسة النظامية، أتذكر حين أخذ بيدى ابن عمى و أنا أجرجر فى قدمى لأن فتحة الجلباب ضيقة، وكأننى متعثر فى الخطوة، ودخلت إلى الكتاب الكل يجلس على الأرض، ويقف الشيخ أبو عريان كما كان يسمون مكتب التحفيظ، ورأيت الأطفال الذين سبقونا يتلون القرآن بصوت جماعى والبعض الأخر كان صامتا، وحيث أن هذا أول يوم، وحيث أوصتنى جدتى، بأن أعطى للشيخ أبى عريان بيضة من داخل شنطتى الصفراء والتى تميل إلى لون البيبيج والمصنوعة من القماش، وجلسنا فى صف واحد، ومتجاورين كأن أجسادنا ملتصقة وأرى فى عيون من هم مثلى فى سن الأربع سنوات، خوفا، انتقل إلى وأنا أتفحص

عيون الأطفال وإذ بالشيخ يؤشر بعصاه، ويا لها من عصاه، فيقول لى سَمَّعْ، لم افهم ما يريد، إلا أننى فوجئت، بالعصاة تسبق حرف العين قبل الانتهاء من أن يترك الحرف لسان الشيخ، تهوى على، و قد كانت هذه العلقة بمثابة حاجزا نفسيا بينى وبين الشيخ، ولم يكن يعلم الشيخ أننى طفل مختلف، بل ربما هو لم يعلم كيف يتعامل مع الطفولة؛ فقد كان أسلوبه العصى لمن عصا، واقسم انه لم يكن ينطبق على هذا المثل فأنا ممتثل لكل ما يقال، و أيا ما كانت هذه الذكرى الأليمة والتى حفرها هذا الشيخ، فى نفوسنا، وأيا ما كان له وما كان عليه إلا أننى أخبرت جدتى بذلك، وأننى أتذكرها حتى الآن، انها الطفولة المحفورة والتى تسبب وتفرز أطفالا ربما يتوه بهم الطريق أو يجعل منهم غلاظا، من أشخاص لا يعرفون للحديث معنى، نسوا أصول التربية، أن الضرب لا يأتى إلا بعد العشر من العمر، ولا يكون بهذا الأمر، ولولا المناخ الذى عشته من ثقافات مختلفة وحكمة جدتى، لكنت قد تركت التعليم منذ ستين عاما، وكم من هم مثلى تركوا التعليم لغباء المعلم، وكيف أن تعليم مثل هؤلاء أفرزوا أشخاصا فى المجتمع لا يملكون غير الشدة والغلظة، والتشدد فى حياتهم عنوان كبير، فظهر التطرف فيما بينهم، إن التعليم هو المرضعة الأولى، إن صلحت صلح مجتمعا بأكمله وإن فسدت فسد كل المجتمع.

عدت حيث خرجت، إلى بيت جدتى فهى مأمور البيت وقائده، بعد وفاة جدى، يرحمه الله والذى لم أره، والذى تولى والدى أعماله ومهامه، جلسنا على مائدة العائلة، نتناول معا طعامنا، وشرابنا، لم يتبق منه شيئا، ولم نرم كثيرا منه فى سلة المهملات التى لم تكن موجودة بشكل كبير، فإذا كنا نَتناول البرتقال المصرى المعروف فى طعمه بالشتاء، كانت جدتى تتناول بقاياه، و تأمرنى أن اتجه به إلى زلعة وبلاصى المش، لم أعتاد فى بيوت عماتى وخالاتى حتى وقت قريب، رمى النفايا (سواء قشر البصل، قشر الموز، قشر اليوسفى، بقايا النارنج، والكثير) فكانت النفايا، يتم تجميعها واستخدامها، حتى البقايا من القصاقيص للقماش، كنت أرى خالاتى وعماتى، يقمن بعمل سجادة ولوحة فنية رائعة، لا يطابقها الكثير الآن، كان لا أحد يشكو قلة طعام، ولا كسيرة من خبز، فالجميع حامدون، شاكرون، صابرون، لقد كانت كل من عماتى

وخالاتى والنساء المحيطات بى فى قناعة ما بعدها قناعة والكل حامد، ربما حمدا بعد قهر، وربما حمدا لشكر النعم، فالنعم كثيرة، فنحن فلاحو الوراثة، نجيد مهنة الفلاحة نأكل من خير أيدينا، نصدر خير أقطان الأرض، وحين خرجت الزراعة من بيننا، اُحْتُلت أقواتنا وصرنا عبيدا للغير، وصارت لقمة العيش نادرة. أتذكر فى طفولتى حين يجتمع كل أطفال القرية، ويحملون على سيارات ونخرج على أطراف قريتنا لنجمع القطن، وكان ذلك على ما أتذكر ما بين الخمسينات وأوائل الستينات، وكان مهندس الزراعة موريس، يتابع جمع لطعات القطن يوم أن كان القطن المصرى لا يضارعه أى قطن فى العالم، وأتذكر الكلمة المتكررة (وَ علاااااامه) أى تم إيجاد لطعة على ظهر الورقة التى يكون عليها بيض حشرة دود القطن، ونعاود العودة إلى بيوتنا الطينية، الهادئة، راضين قانعين إلى حين نأخذ كد عملنا فى نهاية الأسبوع، كان اعتمادنا على أنفسنا اعتمادا كبيرا، كان هناك ندرة فى الحصول على المال ولكن هناك وفرة فى الحمد والصبر و القناعة، كان هناك فى العائلة الواحدة أخوة أشقاء وغير أشقاء ولم يكن هناك أى عداوة أو كراهة بين الأخوة، بل كنا نتبادل الكثير فيما بيننا، وكان الحب سمة بين الجميع، والتراحم سمة بين الصغير والكبير.

جلست أمس على ماض هجرناه، ولم يعد فى مخيلتنا غير الإيقاع المشوش، غير ريموت نحركه بين أيدينا، ونختار فيه ما نختار دون فهم أو وعى على قنوات، وقفت فجأة أمام إعلان مدينة جديدة، فاعتقدت أنها المدينة الفاضلة، وعندما رأيت إبداعات العلم الحديث، من تصور كبير لمدينة المستقبل، حاولت أن أغمض عينى فى لحظة وسألت نفسى: هل يمكن أن أعيش لأرى هذا الحلم، وإن عشت، هل أجرؤ على أن أقترب من أسوار المدينة الفاضلة الحديثة؟

إن القضية الكبرى، تكمن فى محورين أساسين، ألا وهما قضية التعليم والزراعة، ولن تنجح أمه خلا منها التعليم، ولا تعرف مبادئ الفلاحة، وإن أرادت أى أمة أن تتقدم فلتملك غذاءها لتسد الجوع، ولتملأ عقولها لتملأ الجوع الفكرى، وإلا سوف تكون فى سلة المهملات.

المقال الخامس
صفحة صمت

أن تكونى أنثى، فهذا يعنى لنا الجمال معشر الرجال، أن تكونى أنثى فهذا يعنى أن همس الزلال يتساقط فى أذن الرجال، أن تكونى أنثى فهذا يعنى دلال الرجال، أن تكونى أنثى فللرقة معنى، وللحب أجراس معلقه فى رقاب الرجال، ولأنك أنثى فلا رغبة عندى بالبكاء، تصارعت داخل عقلى بين الأنثى وما عليها وما بها أن تكون، فتارة أعيش داخل مثالية المرأة فأحملها على الأعناق، و أطوقها بتاج العطف والود، ويشدنى بل قد يجرجرنى ويؤلمنى امرأة أغمضت عينها وترقب حافة الهاوية، فى وحشة الطريق.

وأتساءل: هل هى مسئولية فردية أم مسئولية اجتماعية فى التنشئة، وعلى الرغم من الأنين المتوتر فى أعماق الأنثى والذى أشعر به، قد أستطيع تحديد ذلك ولكن الأصعب أن نستطيع تحديد طريقة العزف داخل المرأة فإنها اوركسترا الحياة وتجيد العزف بكافة الألوان والآلات وهذا ما لا يعرفه الرجل.

إنها إشكالية الرجال، إن مشكلة المرأة مبنية على الخوف من الغد والمجهول، وما قد تعانيه فى تنشئتها، أو إنها تقارن بين عيشة رغدة فى حياتها ثم تفاجأ بالنقيض مع شخص ليس لدية النضج أو مفهوم الحياة ومن بيئة تختلف ثقافيا عن بيئة المرأة أو العكس وهنا تطفو قضية الاختيار وهى النقطة المحورية فى قضية الأمن الاجتماعي» إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير «.

إن المرأة تمثل قضية الأمن الاجتماعى حين تنتج لنا أطفالا أسوياء أو عبثة منحرفين فى طريق الإرهاب والتشرد والجريمة. وإن مجتمعا معافى يعنى امرأة قوية، وإن مجتمعا مهلهل يعنى انحطاط الأخلاق والقيم فى المرأة بمباركة ذكورية.

وقد تلعب الأم التى تخاف من قطار الزواج أن يغادر رصيف ابتنها لهى أولى من يضع لبنة فى هدم البناء التالى لابنتها، إن الأم تلعب دورا خطيرا فى حياة ابنتها بالسلب والإيجاب وعليها أن تتحرى الدقة فى الرجال وتترك أمر الاختيار لرجلها و إلا سترى ابنتها الجحيم، ورغم أن بكاء المرأة يشعرنى أحيانا مع صدق النوايا بفداحة الموقف، فإن من يتعامل مع المرأة ليعتقد أنه منتصر أو منهزم فقد اخطأ خطأ فادحا **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.) الروم: ٢١)**

إن المرأة حين تضع فى رأسها تساوى الرؤوس فعندئذ تتبدل القواعد، وتزداد فى الحياة صفحات صمت، لتقترب إلى نفايات فى سلة المهملات حيث تتبعثر العلاقات بين الطرفين وتتحول إلى ساحة قتال.

إن صفحة الصمت بين الرجل والمرأة تعنى أمرين: إما إغلاق الكتاب فتتبلد المشاعر، التى كانت بداية ملتهبة، أو أن مخزن الذكريات لم يعد بقدرته استعادة ما نقش بداخله، كأننا نقوم بإلغاء ملفات الذاكرة ونصاب حينئذ بالبلاهة من الطرفين، فالرجل والمرأة حين يرتبطا عليهما أن يدركا أنهما على جزيرة المقدسات، إن من الغباء فى الرجال أن يعتقدوا أن الرباط هو امتلاك للمرأة. إنه رباط الاحتواء، وقد ينجح رجال كثيرون فى هذا الأمر ويفشل الأغلبية، وينطبق هذا الأمر أيضا على المرأة، ولكن بشكل آخر.

هنا لا أستعرض المثالية فى المرأة، إنما أستعرض بعضا من النماذج الأخرى التى لها نظرة تختلف فى رؤيتها للرجل، إن هناك أقلية من النساء تختلف النسب فيما بينهم تتميزن، بظاهرة الالتفاف الخفى الممزوج بنتوءات الأنثى وتموجاتها فى العطر المسروق، عطر الأنثى التى لا تمنحه أو تبعده عن الرجال إلا برغبتها، فكل أمر يكون برغبتها، ولا يستطيع أى رجل أن يحقق أى رغبة مع امرأة إلا بموافقتها وبشروطها، المنطقية أحيانا والمقبولة، أو بشروط أخرى لا تستند إلا على منطق الخوف والمبنى على تكرار التجربة للمرأة إن كانت موجودة أو من سرد التنشئة أو البيئة.

إن كوارث التنشئة الاجتماعية والموروث الثقافي لذهن المرأة منذ صعوبة أناملها تحتاج إلى مراجعة جديدة، ان كارثة المرأة لا تكمن في علاقاتها مع الرجل بمصائبه ومتاعبه، إنما تكمن في مخرجات العلاقة من تشرد الطفولة في عيون الأبرياء، وفي تكوين نفسي غير سليم لمناخ غير مناسب، وأنا في رأى الشخصي أضع الحمل الأكبر على الرجل لأنه لا يعرف حدود دوره ومسئولياته، ويتحلى بصفات لا ترغبها المرأة كما ذكرت في مقالي بالأمس، وكذلك لا نعفي المرأة عن تخليها عن الصبر الممقوت في حالة وجود رجل لا يحب إلا نفسه و يتناسى دوره الاجتماعي في بناء مجتمع، إن العلاقات الأسرية الممزقة، هي من أخطر عيوب المجتمع، والذى تظهر به انحرافات كثيرة، تسيء من صورة كل من الرجل والمرأة، وأن غياب العقل في كلا الطرفين لهو حتمي في إظهار الخلاف، ويزيد من صفحات الصمت.

إن من المشاكل بين الطرفين قد تتمثل في طريق عرض المشاكل فيما بينهما، ورغبة كل طرف لتحقيق رغبته والاستحواذ على نصيب الأسد في إثبات الذات، والأمر يجب أن يكون غير ذلك، لأنه لا ملكية للرجل على المرأة ولا استحواذ من الأنثى على الرجل، إن طبيعة المرأة غيورة، وهذا قد يسبب لها مشاكل كبرى، ومع التنشئة وملء أدمغة المرأة بالجمل الخالدة والتي تعلمتها، دون ان تترك لنفسها حرية اختيار النموذج الذى تختاره، فعليها أن تتحمل التبعات.

إن كثيرا من الأزواج تميل إلى الاقتضاب؛ إما لجهالة فكرية، أو معضلة عقلية، أو مراهقة جديدة أو، أو لمجهود عضلي حسب طبيعة عملة، وهذا مما يصعب لغة المرأة في فرز الشريك، فيحدث معها الريبة، وعلى الرجل أن يخصص من وقته ليعرف ما يدور داخل مملكته، وان نجاح المرأة يتوقف على محور أساسي وهو إعلان الزوج بكل كبيرة وصغيرة ولا تخبئ أمرا قد ترى هي من وجهة نظرها بسيطا لا يستدعى البوح به وهنا يكون بداية اللغم في العلاقة وربما يكون بداية شرر أعظم، على المرأة ألا تكتم سرا عن شريك الحياة، ولا تكذب فهما سر البلاء، وهما معول هدم البناء فإن إحساس الشريك أو الزوج أو حتى الحبيب بهذا الأمر، لهو أمر مخيف ويدعو للريبة والشك، ومن هنا تبدأ لحظات المراقبة والتلصص من كلا الطرفين،

وتتحول العلاقة بين الطرفين إلى هواجس عقلية، يتبعها خطوات شيطانية، إن الشيطان حين يدخل بين الشريكين لن يترك أمرهما يمر بسهولة قال تعالى :{ **قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم} الأعراف** ١٦.

إن الثقة المفقودة يدفعها طرفان لا طرف واحد، وإن الجريمة الكبرى، على ما تبدو ناتج من الخروج عن النص فى صفحة الصمت التى تدق على مسامعنا، ونراها بأعيننا، فإن الطامة الكبرى ألا نحتوى النساء، إن النساء هن فتيل الأمان فى المجتمع فى بعده الاجتماعى وان لم يتم ضبط العلاقة بينها وبين الرجل وتفهم حقيقى و إعادة غرس قيم التنشئة صرن قنابل موقوتة أشد من قنابل الإرهاب، تنفجر فى أى لحظة وما أكثرها هذه الأيام .

إن هناك من النماذج السيئة بين الطرفين والتى تزيد المجتمع انحلالا وانحطاطا، وتفرز أطفالا مشوهين، لا نعرف لهم طريقا، ومن المحزن أن نرى هؤلاء فى أيد عابثة، تلعب بعقولهم فتفرز لنا الجريمة والإرهاب، علينا أن نفتح صفحة الصمت وأن نناقش جيدا قضية تصحيح المسار فى خارطة الطريق الجديدة بين الرجل والمرأة فى معاهدة احتواء واكتمال بين كلا الطرفين، إن القضية لا تعنى إعلاء شان على شأن، وإنما القضية حين يخرج أى من الطرفين على عدم توظيف القدرة البيولوجية له فقد خرج إلى سلم الانحدار، فلنفتح صفحة الصمت ومن الآن.

المقال السادس
حين يقع القلب فى الوهن

حين يدق القلب، ليثبت لنا أننا ما زلنا أحياء، وحين تشتد ضرباته، فنعلم أننا فى أشد المحن، إما محنة الضيق أو محنة السرور، نحن نسير فى مسار اللاوعى، فما هو مسار اللاوعى، إنه المسار المادى فى غذاء البطن، ملهاة البطن والجوارح، وكأننا لن نتحول من عمر إلى عمر، وكأننا فى وجود لا ينتهى، إن نظرتنا للزمن داخل أنفسنا، كقطارين يسيران بسرعة واحدة وعلى خط واحد لا يمكن ملاحظة التحرك فيما بينهما، فيظهر وكأننا لا نتحرك رغم أننا نتحرك، ونفس الشيء حين يدور الفلك حولنا ولا نشعر به، بل نأخذ منه دلالات التعاقب فى الليل والنهار **{وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون (٣٧) والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون (٤٠)}**. سورة يس، فهناك فرق بين أن نشاهد أمرا وأن نحس به، فالدلالات هى مؤشرات ولا تعنى أن أحسها أو أستشعرها، ووصف الشيء لا يعنى تقديره ولمسة بين الحواس، فإذا قلت إن هذا متزوج مثلا، وأنت أعذب و ذلك فأنت تفهم الزواج عبارة عن رجل وامرأة وأطفال هذا هو المفهوم أما إحساس الزواج فهو شيء آخر، وهكذا كل الأشياء بل أغلبها ولننظر إلى مقياس العمر حين نراه فى الجسد من تجاعيد، أو فى العقل من الخرف أو الاتزان إلا القلب الذى يظل نبضه قائما، فتعاقب الليل والنهار نراهما ولكن لا نقدر تغير أنفسنا بداخلنا، ولا أعتقد أن هناك من يقدر عمره بداخله، وكأن لسان حاله ممتد لا ينتهى، فما كل هذا، وماذا يدور حولنا، **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** (الحديد: ١٦، ١٧).

المقال السابع
تحدثنى فماذا قالت؟

تصرخ فى صمت، تتحرك فى ضجر، تقول: لم هذا ولم ذاك، لم خطوت، لم تحركت، أين كنت، أنسيت؟ فى ليلة كيف جاءت، فى عقول تاهت، تتحدث عن ماضيها، عن خطواتها المتحركة فى غياب الزمن، فى غياب نفس، صمتت فى داخلها صمت الذنوب، صمت الخطايا، ماذا كنت حين نطق لسان العقل، ماذا أضحيت حين تحركت الأقدام فى خطوات محنكة، كأنها أرجل حصان محنك، فمن يوجهه، ومن يحركه، هذه الحواس التى ندرك بها تحدثنى فى تمرد، فى عين التجرد، إنها ثورة الجسد، تعلن توبتها، تعلن حرية القيود، تعلن حرية الصمود، تتجه للقلب تسأله، تحدثه، فيزداد خفقانا، فتتجه إلى العقل الغاضب، فيعلن توبته، ويعلن ثورته على صمته، ويتصفح بيديه، ويقرأ بعينيه: **{ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}- يس٦٥.**

إن أوامر الصمت تأتى فى الآخرة، فختم القلوب فى الدنيا يحدث فى الآخرة، فلا يدخلها أى ايمان ولا يخرج منها كفر، فختم الله على الأفواه ومنعهم من الكلام حتى لا يعتذروا ولا يستغفروا، فماذا نحن فاعلون حين يأتى ذلك اليوم؟ توقفت الأعمال وتوقف دفتر الحساب، وأغلق الآن ونقرأ فيه بأعيننا لنرى كثيرا من الأخطاء، ونسال لماذا تمت، ومن جرجر الأقدام إلى ما فيها وما عليها؟

لقد تصارعت فيما بينها فى الدنيا، لم تصرخ بصوت فى الدنيا، لم تمنع المعصية، لم تمنع الخطيئة، الآن تنطق وتشهد، تنطق الحواس تطوعا **{وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }** [يس: ٦٥] مع ذلك تشهد لا على نفسها، إنما على النفس الواعية التى أخضع اللهُ لها الجوارح، وأمرها أن تسير وِفْق مرادها، ورهْنَ إشارتها فى الدنيا. أما ونحن الآن فى الآخرة، وقد تحررت الجوارحُ من تبعيتها للنفس الواعية، وأصبح المُلْكُ كله والتفويض كله لله تعالى،

فالآن تتكلم الجوارحُ بما تريد، وتشهد بما كان أمام الرب الأعلى سبحانه. سبحانك ربى، وتحركت أشياء جديدة تحدثنى وبقوة، وتهمس فى بوق الأذن، كأنه بوق توبة فنقول لى على ترتيل القرآن فى حكم التنزيل، فتقول فى خشوع **{وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (الشورى: ٤٢)**، تهللت الشفاه بما قرأت وبما سمعت فبشرت بأن الأمل موجود طالما نتنفس ونحن مازلنا أحياء، إنها نظرة الإحياء، فى جلاء فى طقوس التوبة المفتوحة، نعم إنه لطف الله، فى حبل النجاة، فحبل التوبة موجود، وإلينا يعود، فمن موجود، ليعلم أن الله فاتح باب التوبة، ان من رحمة الله علينا أنه لم يغلق باب التوبة، فإن إغلاقه يعنى التمادى فى العصيان، فيشقى الجميع منه، إن التوبة تعنى رجوع المسيء إلى الله، لقد شرع الله التوبة، إذا تاب العبد قبل موته، إنها منة من الله، لقد عادت ذاكرتى إلى كلمات شعرى التى كتبتها عام ١٩٧٤ فى ديوانى الأول بقصيدة تحت عنوان «النهاية» حين قلت :

بالأمس كنت ترى وجهك الجميل هلالا
فكم من جميل تؤويه الأرض يلبس الأكفانا
فلا تحسبن العمر باقيا فلن يبق إلا سلافا

نعم لم يبق إلا سلاف، فلنبدأ من الآن، فباب التوبة مفتوح، والتوبة ليست كلمة تقال استغفر الله العظيم إنما هى منهج وبرنامج كبير نستعرض فيه ما فات من عمل كيف يتم استعاضة عهدة الأمانة بداخلنا لكل جوارحنا، ونبدأ ندما تنتهى بتوبة، إن جوارحنا المتمردة التى تقابلنا بمعاصيها فى غيبوبة، فى سكرة الحياة، فى سرعة دوران، فى سرقة الحدود، نعم إن المعصية هى سرقة ما لا حق فيه، كأن تأخذ مالا بغير حق، كان تفعل معصية بجارحة، رد المظالم لأهلها من قبل **{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** (الشعراء: ٨٨ ، ٨٩) ، تحدثنى نفسى المشتاقة إلى إذابة السيئات، وأن تذوب فى عسل الحسنات، تأمر القلب أن يتجه الآن إلى أن يطهر نفسه لأنه الذى إذا سلم سلمت الجوارح كلها، و إذا فسد فسدت سائر الجوارح، وهذا المطلب المهمّ كان نعما، فيا قلبى اذكر ربك، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، تحدثنى، فقالت: يا نفس متى تعودين لحظيرة التوبة فالأنفاس مازلت سارية فانتهزى عروض البيع والشراء، فسوق الدنيا مازال مفتوحا، فانتهزى الفرصة قبل أن تنتهى الصلاحية.

المقال الثامن
هو ذاك القلب

كم دقة يدق قلبك؟ كم يتعالى صخبك، كم يتعالى الشوق فى غلف قلبك، ما هذا العضو الغامض، المتوتر، على أوتار الذكرى، يعاود القلب قراءة سطور الأشواق، فإما سعادة يرتجف بها ويخفق، وإما اضطراب يتبعه كآبه، فلم كل هذا، سؤال ينتاب الكثير عن تلك المشاعر والتى تحدثت عنها من قبل، وكيف أن الحب فى العقل، وليس فى القلب، وأن القلب ما هو إلا انفعال طبيعى ناتج من ضغوط الذكريات فى عقل الإنسان، إن وسادة العقل التى ينام بداخلها الحب و يضبط آلية التيقظ، أو يتوالد بداخله الحلم الأمثل فى الاكتمال، ويبوح القلب فيما بينه بهمس الخاطر، والذى تحدثت عنه الأسبوع الماضى من يوم الجمعة ومن ثم الاعتقاد، وأن ما يحدث فى المراحل الثلاثية من همس، وخاطر الهمس المتهيج وما يصاحب ذلك من تهيج بالقلب، فيزداد دقات قلبه، ويأتى المرحلة الثالثة وهى الاعتقاد وهى التى تسبق الهم بالشيء، فالمراحل الثلاثة تدخل تحت مفهوم مأخوذ من شغف (ش غ ف : الشَّغَافُ بالفتح غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب يقال شَغَفَهُ الحب أى بلغ شغافه وبابه باب شغف وقد ذُكر فيه وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما **{قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا}**.**(يوسف:٣٠)** وقال دخل حبه تحت الشغاف. إن الإحساس بالأنا داخلنا فى تشكيل التفاعل بين الأنا والهوية لهو أمر يجعلنا نبحث فيه عن الحب، خلف الحدود الذاتية، وحيث أن الأنا الخاصة بنا حين تقع فى الحب، نتيجة أن الذكرى الضاغطة على العقل تسبب الانهيار المفاجئ لجزء من حدود الأنا الخاصة بنا، وهو ما يظهر حين ينهار الحب فى مرحلة من المراحل وترغب الأنا استعادة نفسها مرة أخرى، لأن الحب يسمح بدمج هويتين فيما بينهما مما يعتبر الانعتاق المفاجئ من الذات وانسحاب الكينونة برمتها

من حدودها ثم الاندماج فى كينونة المحبوب، مع ما يرافق ذلك الانهيار لحدود الأنا، لشعور الوحدة من قبل معظمنا أو كانجذاب غريزى، وبالتالى فإن المراحل الثلاثة قد تصل إلى مرحلة الهم أو قد لا تصل. «ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين»، والهم هو : المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. وهذا الوقوع فى الحب ليس فعلا إراديا، وليس اختيارا، وإن كان اختيارا، فهل القلب يستطيع أن يتحكم فى دقاته أم أن هناك قوة قهرية تفعل ذلك وتأتى من عقله؟ إن الحب فيه مشقة كبيرة ومعاناة قد ترافق ضبط النفس السابق، وذلك لمفهوم انهيار الأنا المفاجئ وخروجها للاندماج، والحب لا يحمل فى طياته اتساعا داخليا أو تمددا لحدود الأنا بل هو انهيار مؤقت لجزء من تلك الحدود، وإن استعادة الجزء من الذات لن يتم بغير استعادة الحب أو الدخول فى حب جديد لأن القلب مازال يحمل نبضه السابق وشغفه السابق فى طيات الذاكرة، إن الحب بين الرجل والمرأة يختلف عن أنواع الحب الأخرى، فهو حب غريزى، مؤاده اكتمال السكن فى غرف القلب والمكونة من أربعة غرف، وأن الحب غير المنتهى بالزواج محكوم عليه بالبتر فى مراحل ما، والصدق فيه يعنى ارتباطا صادقا، **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. (الروم: ٢١).

إن زخرف الأيام فى الحب وتخفيف للآلام فى القلب ودقات القلب وآهاته عبث لن يهدأ بغير رؤية الحبيب والارتباط به شرعا، حتى تكتمل الحياة.

المقال التاسع
هواء فى وطن

تبعثرت الحروف، فأجمعها كما أجمع حقيبة سفرى، إيذانا إلى هواء فى وطن، وقلت فى ذاتى» يا كل العذاب كم فيك من السفر، إن الفتى لا يضيق بأرضه، ولكن كم من الأخلاق فيك يا وطنا يضيق منها الصبر، نعم كم ألفنا هذا الهواء، وكم ألفنا هذا الطريق، كم استعذبنا فيك الماء، وإن كان الماء فيك مرا فمازلت الوطن، إن الحياة قسوتها دوما فى غربة وحقيبة سفر، نبدل كل عام حقيبة، نحمل فى طياتها فستان سهر، أو حلة طفل فى عمر الزهر، أو جلبابا يستر عورة وعِوّر، ومالا نجمعه، كم حلمنا أن نبنى منه رخاما فى قصر، فلا المال يكفى سعادة وإن كان جمعه من نهر، المال كم فيك من جَنْى عَسِر، فيا لقسوة المال فى جمعة فى رحلة سفر، **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}. (٣٢) – الزخرف** .

إن الأخلاقيات قد تدنت وأصبح كثير من الألسنة معوجه، وغابت فى عقولنا أجمل الصور، إن القسوة ليست فى غربة ولا من تعب فى سهر، ولا فى جفون ما تغمض حتى الفجر، القسوة يا وطنا فى عباد أيقظوا فى القلب صورا من لهيب القهر، كم تبعثرت دوامات العشق حين يذهب المرء إلى كواكب العشق المهجورة، لا ألفة ولا حسيس قمر، نعيش الغربة فى أصوات وهتاف بين الأذن وآلة نهاتف بها، إن صح قولا فهى كالحجر، والحب فى الغربة فى اليد، ما أَمَرُّه من المُر، يفتت فى القلب أشواقا، وصار القلب عندى فتات صخر، وإذا تغنى اللسان عندى فى قول بالشعر، أشعر فى ألم بالرحيل فى صيف، ما يبقى منه غير سويعات مخصوم منها رحلة السفر، خواطرى تبعثرت فى هواء وطن.

كم أهواك، كم تمنيت مطرا ينزل بى إلى قاع الوطن، إن كان نقيا أو ملوثا فأنت لى وطن، ما استشعرت يوما فى عقود ثلاث أبعدتنى. إن ماأتلمسه فى خطوات بديل وطن، فما كل هذا الشوق؟! أجيبونى، لم نحبك يا وطن؟ تساءلت مع نفسى يوما: هل ينزعون بطاقة ميلادى وهويتى ويستبدلونها بحفنة من كيس مال وحبات الرمل؟ تعجبت مما رأيت ممن يغير جلده، فضاعت خطواته واختفى منه الأثر، إن الحب يا سيدة الوطن لا تقلعه عاصفة بأرض ولا من حب للوطن، فالهوى فى الغربة ما يغرينى ولو كان ألف جبل من ذهب أمامى ينصهر.

سأطير أميالا فى حلة ودعاء سفر، واعَلَمُ يا وطن أن الانحدار على عتباتك منتظر، ولكن حيلتى تمسكى بهويتى، وبذنوب فيك أدعو ربى أن تُغتفر، وأن يفرج كربة وهما فيك يا وطن. اللهم إنى أستغفرك لكل ذنب خطوتُ إليه برجلى، أو مددت إليه يدى، أو تأملته ببصرى، أو أصغيت إليه بأذنى، أو نطق به لسانى، أو أتلفت فيه ما رزقتنى ثم استرزقتك على عصيانى فرزقتنى، ثم استعنت برزقك على عصيانك، فسترته على، وسألتك الزيادة فلم تحرمنى، ولا تزال عائدا على بحلمك وإحسانك، يا أكرم الأكرمين اللهم إنى أستغفرك من كل سيئة ارتكبتها فى بياض النهار وسواد الليل فى ملأ وخلاء وسر وعلانية، وأنت ناظر إلىَّ، اللهم إنى أستغفرك من كل فريضة أوجبتها على فى آناء الليل والنهار، تركتها خطأ أو عمدا أو نسيانا أو جهلا، وأستغفرك من كل سنة من سنن سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، تركتها غفلة أو سهوا أو نسيانا أو تهاونا أو جهلا أو قلة مبالاة بها، أستغفر الله العظيم، وأتوب إليه، مما يكره الله قولا وفعلا، وباطنا وظاهرا، اللهم إنى أسالك إيماناً دائماً، وأسألك قلباً خاشعاً، وأسألك علماً نافعاً، وأسألك يقيناً صادقاً، وأسألك ديناً قيماً، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس.

المقال العاشر
لام غبية

دعنى أقول لا مرة واحدة:

هى راودتنى، داعبتنى، أوشك العقل منى أن يذهب، أن ينفصل عن عالمى الخارجى، فهى من قالت نعم، وهى من قالت لا، وشتان بين نعم ولا، فما يعنى كلمتى لا ونعم النقيضين.

هل قبول الأمر على ما هو عليه هو أمر اختيارى، أم إجبارى، أم أنه ملزم؟ وهل يعنى عدم القبول ليس من قبيل عدم قبول الوضع بل لفرض عالم جديد وأرض جديدة، وما الذى يدعو لهذا؟ إن ردود الأفعال الغاضبة أو المنهكة أو المتعثرة قد تخرج بنا أحيانا إلى خروج المسار الذى نرضاه وقد لانرضاه .

قد نتعلق فى حبال الهوى حينما يشتد بداخلنا عنصر التقييم، وأن من يريد أن يغير مساره عليه أن يقارن بين ما هو عليه وما يؤول إليه، فإن المقاربة بين الأشياء تحتاج إلى مدخلات كثيرة يتم تصفيتها أولا بأول حتى تكون دائرة الاختيار ذات عناصر قليلة، فإذا اتسعت دوائر المقارنة ولا يوجد لدينا قدرة على تجميع مسافة عرض النقاط فستهرب منا الحقيقة كلية وكأننا نبحث عن إبرة فى القش.

وإن التفكير المبنى على قواعد الاختيار والمفاضلة فى العقل ويقوم باحتساب الفرضيات الكائنة لهو أمر لا يستطيع أى إنسان أن يقوم به، ولكن هناك من الأمور التى نستشعرها ونحسها، ونحاول فيها التدليل على صحتها، وان من الغباء والجهالة أن نرى ما نريده هو ما نريد اثبات صحته فان الامور تخضع يخضع لمنطق العقل والإحساس المنطقى المبنى على فرضية صحيحة.

فها هى قد استشعرت بالغباء رغم طول العمر التى قضته، ووجدت فى البخل آفة، انمحت به كل معانى الود والرحمة، إن البطء فى اكتساب وفهم ما يدور

وادعاء الفهم بشكل غير صحيح لإقناع أنفسنا كى نتجنب الصراعات التنافسية أو الداخلية لهو أمر يجلب علينا أمراضا تؤدى إلى خلل فى العقل أو ربما الهذيان.

إن أشق ما فى الحياة هو قصور عملية الفهم وألا نستطيع أن نقوم بعمل فى ظل القيود المفروضة أو عدم القدرة على قول لا. فمن أوقف لام الغبية تارة؟ ولام الذكية تارة أخرى؟ إن عدم استخدام لا فى المكان والوقت المناسب للاعتقاد السائد داخل النفس بأن تكون أو لا تكون لهو أمر يمثل عجزا فى لام الغبية، ويسمح لنا بأن ندرج اسمنا فى ذوى الإمكانات المحدودة.

إن من أصعب ما يكون أن ندعى فهما أو نقيم قدرا من الأعمال ونخجل حين نُسأل عن معرفتنا فنضطر للكذب، فكل إجابتنا أو معظمها تندرج نحو نعم أم لا، فقليل ما نسلكها، حيث إن نعم تحمل فى طياتها رحلة الارتياح الكاذب أحيانا، وبزيادة نعم نصل إلى حالة من الاستسلام فليس كل نعم تعنى الموافقة الكاملة، فكل نعم مرهونة بمكان وظروف خاصة بها.

إن الاختيار السلبى والذى يجلب لنا الخجل يصل بنا إلى حافة الكذب، فتنهار بداخلنا قيما جميلة.ان الكذب الاحترازى والذى يبدوا جليا فى حياتنا لهو نابع من عدم استخدام كلمة لا سواء الغبية أو الذكية، وإن استخدام اللاءات المعرقلة توصم بالغباء فى قطيع الخجل العاجز عن تعديل نفسه.

فلا غضاضة ألا أعلم ولكن الوقوع فى الغباء كمبرر للكذب يجعلنا فى حكم تنامى الادعاءات بشكل كبير، والبكاء على الماضى، فإلى متى نبكى على صرخات الماضى الذى لن يعود؟ فعلينا أن نعيش الحاضر بكل جوانبه فى مواجهة كل ما يحدث، وإن من الصعوبة بمكان ألا نفرق بين ما نستطيع فعله أو ما لا نستطيع فعله، وليس كل أمر مجزوم قطعى بالمعرفة، يؤدى إلى نتائج إيجابية.

إن أتباع اللاءات الغبية لهم فى فصام نفسى، بين ما يجب عليهم أن يقدموه أو ما يستترون بداخله، فإن الإعاقة الذهنية ليست عيبنا فينا، بل علينا أن نقلع عن العادات التى تدمر من هم حولنا بل تمتد إلينا لتغير فينا الذوق، وتجعلنا فى مصاف المرافعات الدفاعية والتى نحن فى غنى عنها فهو ها أنا على ما أنا عليه فعليك أن تقبلنى على ما أنا عليه أو تحاول أن تختار

ما شئت، ففى جولة البحث عن اكتمال ما تريد تفقد الكثير من الزمن وربما تفقد بعضا من القيم و المبادئ باستخدامك اللاء الغبية.

إن مشقة الحياة فيمن هم من لديهم الحساسية المفرطة فى الاستقبال، بمن يمتلكون حروف العلم الحقيقة، ولو سألتهم هؤلاء لتمنوا فى داخلهم أن يكونوا أغبياء، فيا راحة الغبى فى قطيع الهذيان.

قد ترى أن هناك من يرتفع صوتهم اعتقادا منهم بأن الغلبة للصوت فى زمن ضاع فيه حرير الكلام بين صراخ مشوهة، لتمتلك السيادة الزائفة، نقول لهم ألف لا، أيا كانت غبية أو كانت إيجابية أو كانت منسية.

إن الألم الذى بداخلنا، يجعلنا نتساءل كثيرا، ونعاود لنسأل أنفسنا من يستطيع أن يجمع الأجوبة الحائرة بين نعم ولا، فكثير من اللاءات توجع القلب وتدمع العين، إننى والكل يعيش فى مفاتن كثيرة، منها مفاتن اللاءات التى تمثل أسواطا على قافلة الحياة، تجرح ظهورنا، وكم تتحمل ظهورنا، كم من الأثقال.

إن صمت التاريخ، والعاجز أمام البشر، تحت وطأة مقصلة الأقوى، وفى ظل إغلاق نوافذ الصبر، وممرات الحرية التى أصبحت فى مدارات الفضاء التى لا نملك الوصول إليها إلا بمشقة الأنفس فإن سجادة القلب البيضاء، التى تحمل فى صدرها الغفران، فى زمن ابتهالات العابرين، والتى لا تحمل ضدا أو فواصل، إن هذه القلوب النادرة التى لا تحمل أى كراهة أو عدوان، وتنام فى ظل طفولتها وان كبرت، لهى قلوب تستحق قلادة الاستغفار لتتزين بها فلا يهمها إن كان من حولها لاء غبية أو لا مستوطنة لنكران الجميل فى مهد الاستقامة، فالكل مهيأ لسفر مغيب عن صافرة القطار فى محطة الوصول، **{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ}**.(الأنبياء : ١).

فمن يحمل فى حافظة كتابة كثيرا من النقاط الاستغفارية؟ فى زمن نسينا فيه الغفران والاستغفار**{ربنا اغْفِرْلَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}**.(الحشر : ١٠). لقد تنازعنا فيما بيننا وأغوانا شيطان أنفسنا، فلنترك دوائر الألم، ولنترك اللام، فإن الضعف هو أن

تجهل مواطن قوتك، وأن تغفل عينك عن الحقيقة الواضحة، التى تغشى العين فى نسيان الآيات من حولنا حتى ندرك أمرا ونستدركه، فنصاب بالعمى فى الدنيا وفى الآخرة، ويصبح لساننا سوطا نحمل به الذنوب، ونخوض فيما لا حق لنا أن نخوض فيه، فلنصمت، ولنذكر فى قلوبنا ذكر الله، حتى تطمئن جوانبنا فى هذه الحياة التى نجلب لأنفسنا القلق، والاضطراب، ونسير فى عمى القطيع، الذى يحولنا حيث يرغب الآخرون. **{فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ}**.(طه : ١٣٠).

المقال الثانى عشر
أخلاقنا فى كف أيدينا

زمن المغلوط أم زمن المضبوط:

سألت نفسى حين وضعت العنوان ما معنى أخلاقنا فى أيدينا؟ وتجولت بين فكرى وبين هواجسى، وبين ما تعلمته، فإن العنوان قد يعنى أننا نصنع بأيدينا الأخلاق، هذا محمل أول، والمحمل الثانى أن اليد وهى التى نتناول بها طعامنا وشرابنا ونقوم بها بالعمل، ونعبث بها ونبطش بها، ونكذب بها أيضا، ونكسب بها قوت يومنا، وسأركز هنا على ما نكسبه، وباليد نكسب وبالمال ننفق، وحين أتحدث عن المال أتذكر حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: « **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَا ضَيَّعَ مِنْهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟** » .

وما يلفت النظر هنا هو من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ نعم اكتساب العيش يحتاج إلى طهارة يد، وهو الأساس فى الأخلاق فقد قال تعالى:

{وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)}. (المائدة: ٤١-٤٢).

وما نركز عليه هنا أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ أى بمعنى الرشوة، والرشوة هى رشوة مال أو هبة تعطى لمسئول لقضاء حاجة أو مصلحة أو باطلا وهى ما يعطى بدون وجه حق لإحقاق باطل، واذا تفشت الرشوة فى مجتمع ضاعت الحقوق

إنها فتنة اتباع الهوى، هوى النفس البشرية التى لا تنظر إلى يوم نرجع فيه إلى الله، فكيف نجيبه، ماذا نقول له، وهو الذى سيسألنا عن ذلك، من أين اكتسبه وفيما أفناه:

سل نفسك من أين هذا نَكْسَبُ؟

هل تعلم ما بيد المرء كم يَكْسَبُ؟

كل الخطايا فى سحت مال مكسب

طهر يديك من أى كسب منه تَكْسَبُ

فالسحت نار فتحرى يدا كم تَسْحَبُ؟

إنها مفسدة الأخلاق فى أن تطعم أولادك وبدنك من السحت، وتذكر أن كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به، طهروا أبدانكم من كسب أيديكم، لنا أن نتذكر أبو دجانة الأنصارى كان مواظبا على صلاة الفجر جماعة خلف النبى صلى الله عليه وآله، ولكنه كان يخرج مسرعا بعد انتهاء الصلاة مباشرة، فأوقفه النبى صلى الله عليه وآله يوما وسأله قائلا : يا أبا دجانة، أليست لك عند الله حاجة؟ فقال أبو دجانة: يا رسول الله إنه ربى ولا أستغنى عنه طرفة عين، فقال صلى الله عليه وآله : إذن لماذا لا تنتظر حتى تختم الصلاة ثم تدعو الله بما تريد؟ قال أبو دجانة : إن لى جارا من اليهود، وله نخلة تمتد فروعها فى صحن دارى فإذا هبت الريح ليلا أسقطت رطبها عندى، لذلك أخرج مسرعا لأجمع ذلك الرطب وأرده إلى صاحبه قبل أن يستيقظ أطفالى فيأكلوا منه وهم جياع، وأقسم لك يا رسول الله إننى رأيت أحد أولادى يمضغ تمرة فأدخلت إصبعى فى حلقه فأخرجتها قبل أن يبتلعها، ولما بكى ولدى من الجوع، قلت له : أما تستحى من وقوفى أمام الله سارقا؟

فلنتق الله بما نكسب واعلموا أن الأرزاق بيد الله ولا تفرح بما تكسبه فبقدر ما تكسب بقدر ما تحاسب فتحروا طيب عيشكم، فلنحرص على جوف أبنائنا من كسب أيدينا، ولا نستسهل، إن اليد إذا اعتادت على الحرام فى الكسب

أماتت القلب، وإن مات قلبه يستحق الحداد على قلبه، وقد نهى الله عز وجل عن أكل أموال الناس بالباطل، فقال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.(النساء : ٢٩)**

فهل يمكن أن نعيد الزمن المغلوط إلى الزمن المضبوط؟

أن من يطالع الأيادى الفاسدة فى علية القوم وما آلت إليه أحوالنا إلى انهيار القيم فى المجتمع، والى فساد الخلق يعلم أن كل مفسدة فى المجتمع من ورائها المال الحرام؟ فهل علمت لماذا أخلاقنا فى كف أيدينا؟

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.) (الروم: ٤١) .

المقال الثالث عشر
التعرى و وجه الحقيقة

لمن نتعرى، هل لأنفسنا؟ فالتعرى يعنى التخلى أو نزع الثياب، تعرى الشيء، أى ظهر ما يخفيه، والتعرى قد يكون شيئا نخجل من إظهاره، وتعرى من الأمر يعنى تخلص منه، فمن من الممكن أن نتعرى أمامه؟ نعم هناك من لهم الحق فى التعرى وإظهار مفاتننا أمامهم.

إن وجه الحقيقة بَينٌ فلنقرأ : **{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**. (النور: ٣١).

هناك من نعمل من أجل إسعادهم، و نتعرى أمامهم، ونحفظ غيابهم، ونفعل المستحيل من أجلهم، نتعب من أجلهم، نتعرى أمامهم، نرتمى إليهم فى ضيقتنا، نركن إليه برأسنا نلتمس منه الراحة، نسكن إليهم ويكنوا إلينا، نهزم لهم، فلا منتصر بيننا، إن علاقة التعرى هى لغة ومفهوم الحقيقة الواضحة فى العلاقات الصادقة، محددة بقوانين واضحة فى تقوى الله وخشيته فى صدق التعامل، كم من امرأة تبحث عما يناسبها كثيرا، كم منهن رفض الزواج، لأن ثقافة ومفهوم التجرد والتعرى غير واضحة فى ذهن كلا من الطرفين، التعرى بين كلا منهما يعنى عدم إخفاء ما بين الطرفين، ليكونا كتابا مفتوحا، وان كانت الحقائق مؤلمة فى أوقات كثيرة إلا أن التعرى بين كلا الطرفين أمر هام، فإخفاء الحقائق قد يوقد منها اللهب ولا ندرى، فالتعرى بالحقيقة بين طرفى

الحياة أمر هام، فماذا يهم المرأة من جانبها الآخر حتى تتعرى فى كل شيء، تريد أن ترى من يحمل معها دفة الحياة، تريد أن تشعر بالألفة والود لمن معها {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. (الروم:٢١)، تريد إلى من يشعر بخوفه عليها، تريد أن تشعر فى لحظة ضيق تجد من يحتويها، تريد حين تُجهد ترى من يطبطب عليها، ويقربها إليه، قال رسول الله «أوصيكم بالنساء خيراً، أوصيكم بالنساء خيراً، أوصيكم بالنساء خيرا». تريد حين تبكى فترى من يمسح دمعها ويواسيها، تريد من يقدرها، من تشعر بحبة ولنرى هل يمكن أن ننسى حب رسول صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها. وقد قال لها يوما صلى الله عليه وسلم: «حبك يا عائشة فى قلبى كالعروة الوثقى».

تريد المرأة رجلا لا تكون بالنسبة له مصدرا لتفريغ الطاقات ومائدة طعام، وملابس مكواة، وفرشاه أسنان تمحها، وعينا لا تفارق مكانه ومأواه، ولا أن تكون حارسة له خلف بابه إن نام وحمحم، يرى من يسرع لتقول له نحن هنا، إنها ليست كذلك أيها الرجال، المرأة تريد رجلا يغار عليها ويحبها هل ننسى رحم الله سيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه عندما دخل على زوجته فاطمة بنت النبى، صلى الله عليه وسلم، فوجدها تستاك بسواكها، فغار عليها من قطعة الخشب حباً فيها و قال الأبيات التالية :

أحللت يا عود الأراك بثغرها ... أما خفت يا عود الأراك أراك

لو كنت من أهل القتال قتلتك ... ما فاز منى بالسواك سواك

تريد المرأة أن تشعر بعز الرجل، وأنسها تفتخر به ويفتخر بها، يشعرها بأنها الكون ذاته، إن لغة التعرى تصنع المستحيل حين يكون كتاب الحب مفتوحا، لا كتاب الطاقات المكبوتة والتى تنتهى بإفراغها وربما لا يعنينا الطرف الآخر، فتكون الأنانية سمة فى رجال كثير إلا من رحم.

إن التعرى نصفان متعادلان.

قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.(البقرة: ٢٢٨)

إن التعرى بين الطرفين لا يمكن أن يكون أمام الآخرين، فلغة التعرى بين الأزواج تعنى الحقيقة الكاملة، التعرى النفسى والمادى والمعنوى، وعلى الرجل إكرام أهل بيته، وأن يكون كريم الخلق وأن يقدر دور المرأة فى حمايته وصيانة اسمه. إنها بوابة أمن الرجال، فلنتعرى بصدق حتى نرى جمال المرأة أمامنا فى احلى حلة، وفى أجمل صورة، إن من يتفهم يستطيع أن يرى نعيم الدنيا وما فيها: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَة**».

وعلى النساء أن ينظرن إلى الآية التى فى صدر المقال، ليرين نعيم الدنيا وما فيها، فتعرى الحقيقة بين الطرفين أمر هام، فالتعرى وجه الحقيقة.

المقال الرابع عشر
ها أنا أحبو إليك

حوار بينى وبين محبوبتى:

أنا :

ها أنا أحبو إليك، كما تعلمت منك كيف أحرك يدى وقدمى على الأرض، لم أكن أعرف أنك قد أخذت قرار عزلى، قرار هجرى، لا أدرى كيف تجرأت، بمغادرة ساحة طفولتى، كيف وحدك أخذت القرار من دفعك إليه؟ هل وجودى للحياة يزعجك، بالله عليك أخبرينى، عودى إلى وجرجرينى كما عهدت فيك رقص الهدهدة، عودى واسقنى من عطف ثدييك حين ترضعينى، ها أنا طفلك أحبو إليك فلم أجدك.

أين أنت يا حضنى الدفيء، حين أبكى، حين أطلب العون، حاولت يا محبوبتى، أن أخفى دموع الغياب، ودموع الحنين، ما عاد البكاء يجدى، ولم يعد فى استطاعتى كبح جناح شوقى، من غيرك، يا تاريخ ولادتى، أما كنت أناديك داخل رحمك الدافئ، فتمسحين على، وأناغيك خلف ظلمات ثلاث، فتطربيننى، فى صلاتك، فى رحمك سمعت صوتك، فى رحمك أنت كنت تبادلينني حبا، حب الظهور فى الدنيا، هل يجدى لى أن أعود وأنا فى مرحلة الحبو، أما يكفى فطامى المقهور من أجل، هل تخليت عن حضانتى، أحبك يا سيدتى، حتى وان قمت فى لحظة أساق من يدك بحبل يطلق عليه دار الحضانة، أساق جبرا، أحبيبيى لم تفعلين بى هكذا؟! فكل الحبال التى نساق بها، أهى وسيلة إجبار، أهمهم إليك، وعيونى يملؤها الاعتراض، وحين هممت كى أنطق لك حرفا، تخطفتنى يد مربيتى بدار

الحضانة، فتلعثمت الحروف، ولم أجد غير دموع الفراق المتكررة، وشعرت بالسجن فى عالم مفتوح، تاهت فيه عواطفك التى تغمرنى فى بيتنا المشترك.

هى :

لا تبكنى، يا مَنْ مِن رحمى ولدت، لا تنزعج فكل طموحاتى مجبرة عليها، هل تعلم أنى مجبرة ومكرهة على ذلك، يصفونى بخيانة أمانة لطفلى، يصفونى بكثير من الاتهامات، هل يعقل أن رحم حبى إليك قد مات، يصفوننى يا محبوبى أنى أقوم بواجبات مضادة لواجباتى ولمهامى نحوك، نعم حبيبى، احبك حين كنت بذرا فى رحمى، وترعرعت أوتار دمى تغذيك تطعمك، فقدر الحاجة عندى، بقدر الحرية عنك، هو حب الأمومة، يصفونى أنى أخون الإنسانية، أى إنسانية يتحدثون عنها؟ الإنسانية التى تجرجر النساء لتدفع ضريبة الدخول لعالم الرجال.

هو :

آه يا محبوبتى لو كنت أملك قدما طويلة، وسنا يسمح لى أن أريحك عناء الخروج على عجل، حين تذهبين بى لروضة الأطفال ظنا أنها جنة النعيم، فجنة النعم أنت على ألا أفارقك، محبوبتى أعشقك، فابحثى عن حل كى أعود لحضنك الدفء، أريد أن أتعلم منك، لا من غيرك، أريدك دوما بجانبى أفضفض لك، أريد إبعادك عما أعانيه من الشذوذ المعنوى، لا أريد شيبا فى طفولة.

هى :

محبوبى وطفلى، هل تعلم أننى أنادى مثلك للحرية التى أرغبها وليست للحرية المفروضة على والتى غيرت فى طبيعتى وحولتنى من حرة كما يرانى الآخرون إلا أننى بداخلى امرأة غير حرة، فقد تغير دورى الذى أمارسه، وقد أصبح خروجى عادة، تحكمت فى فلم أعد أستغنى عن الخروج وأصبح فى نظر الآخرين هروبا، هى هو يا صغيرى هو هروب الخيال أم هروب الاحتيال، مازلت أتذكر، اشتياقى للأمومة حين كنت بذرا، لم يكن ذلك قهرا، فكان بإرادتى، وكان فى محاكمة عادلة فى يوم زفافى، انه كان اتفاق إرادتى، وهكذا كانت محاكمتى، أعيش من أجلك، وأتحمل

أعباء الحياة، ويتهرب المسئول الأول عنك، الذى زرعك واكتفى، يفعل هو ما يريد، ويريد ما يريد، لقد ساء معى فلم يعد عندى مجال للصبر.

هو :

محبوبتى أرى فى حروفك ألما، و أرى فى الأحداث قهرا فهل لى أن أرفع دعوتى، فى محكمة التاريخ، إنها محكمة الطفولة المقهورة فى زمن استغناء الأمومة.

تعقيب :

إن الشعور بالأمن فى الأسرة، لهو سكينة القلب بين الأسرة، فالأسرة التى تتكون من الزوج والزوجة **{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}**.(البقرة : ٣٥)، والأسرة تتكون من ذرية تمتد لتعمر الأرض وتنبت فيها **{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً}**.(الرعد : ٣٨). والأسرة بمفهومها، هى تعنى المحيط الاجتماعى من الزوج والأولاد والأقارب، وتعتمد مدخلات التنشئة على مخرجات التنشئة، والتى نراه غياب الحس الإنسانى حاليا، وحين تفقد المرأة وظيفتها البيولوجية، تتوقف معها الحياة، إن السياسات والنظريات التى تدعو لحرية المرأة فهى دعوة مسلوبة، ودعوة مقيدة، وإن على القائمين على هذه السياسات أن ينظر كل منهم لعظم دور المرأة وحمايتها من الخروج إلى سوق العمل، حيث ان الخروج يعرضها إلى ما لا يحمد عقباه، وإن الخروج للمرأة لا يكون خروجا إجباريا على لقمة العيش، إننى أتذكر فى طفولتى حين كانت الجدة والخالة والأم تجمع نساء العائلة جميعهن و البنات فى سن المراهقة، حتى الأولاد، فالكل يقوم بأعمال يدوية تجمع هذه الأعمال ويأتى من يجمعها، وكانت تمثل دخلا للأسرة، وكن لا يرمين مخلفات بشكل كبير، فكانت الشوارع نظيفة، انها المرأة المنتجة داخل بيتها، إن القائمين على السياسات يمكن أن يحولوا البيوت إلى بيوت منتجة، فيزيد من دخل الأم التى تعانى فى حياتها من قصور المادة، والتى يسهم الزوج فيها، الأمر الذى دفعها إلى الخروج إلى العمل لإطعام أفراخها ومع الأيام تناست دورها البيولوجى فى الأمومة وتناسى الزوج هذا الأمر فخرجا من نقطة واحدة وزادت زاوية الانحراف فى كل شيء، وبدا مرحلة استعباد العادات، من الأمور التى لم تعد فيها نقطة لعودة الفطرة

الطبيعية والفطرة البيولوجية، وصار من يطالب بزيادة الحريات، ومنهن من وقع فى المحظور، فتبدلت الدنيا وضاعت الأمور بين أيدينا ونطلب بالتقدم، إن التقدم يكون بجيل قوى، عاش دفء طفولته، إننى أطالب بإعادة النظر فى هذه القضية، وتحويل البيوت إلى بيوت إنتاجية، إن الاستغناء عن الأمور غير الضرورية، والصبر على شظف الحياة لهو أمر واجب، إن الطفولة فى محنة، فى محنة كبرى، وإن فصل الأمومة عن الطفولة لهو جريمة فى حق الوطن.

المقال خامس عشر
حين تصمت الكلمة

أتأمل نفسى حين تصمت الكلمة بداخلى، فهل يعنى صمت الكلمة السكون أم أن الحروف بداخلى صارت مصمتة التجويف لا تجد صداها بداخلى؟ إنها حالة ما داخلى، فكما نملك حواسا من عين ترى، وأذنا تسمع ولسانا يتذوق ويتكلم، وأنفا تشم، ويدا تلمس الأشياء، فحين رأيت الصمت شاكى اللسان، ففهمت أن الحواس التى أمتلكها تترك بداخلى أثرا، فى مقر الوجدان، فقلت: لم تصمت الكلمة عندى؟ رغم فيض الدمع فى العيون؟ أهذا ما يوصف بالوجع لكل ما هو مؤلم؟ فالألم ظاهرة وجدانية، فالنفس تأخذ ما تحتاجه من طريق الحواس، فتترك أثرا بداخلنا، فتساءلت: ما هى الأسباب التى تدعو للصمت، أو السكون، أو الحركة، وما يتبع ذلك من فيض الدمع فى العيون؟ نعم هى آثار ناتجة من ميل ما داخل النفس البشرية سواء بالحب أو بالكره وتكون من خلال حواسنا فى وجداننا الداخلى، فإذا ما استطاب الإنسان منا شيئا أخذ منه، وهو نزوع يتبع الوجدان، وهناك نزوع للشيء فينزع منه، فإذا أعجبت بشيء ما جميلا سواء شاهدته أو سمعته، فقد يصيبك بعد رؤيته أو استماعه حبا أو عشقا أو ربما كرها، وهو أمر وجدانى، بما يعنى ما تأثرت به من لذة استمتاع أو ألم، وأنت فى هذه اللحظة حر فى إعجابك، وما تدركه، ولكن ليس لك الحق أن تعتدى على ما أعجبت به دون وجه حق لتستبيحه لنفسك، فالإدراك مباح، والوجدان مباح أما النزوع فهو حالة شعورية ترمى إلى سلوك معين لتحقيق رغبة ما وهو أمر يحتاج لنظام دقيق ومحكم وإلا عمت الفوضى، وعلينا أن نتذكر أن النزوع لهو أمر يحتاج تطبيقا محكما، فالإدراك مباح بما يعنى مفهوم الإدراك إلا فى جمال الأنوثة، فالشرع يقف ويتدخل، فعند إدراك جمال الأنثى بأى شكل تجد بنفسك هوى أو حبا وهو ما يعرف

بالغريـزة والميـل إليهـا، فأنـت أدركـت فـى وجدانـك هـذا الشـيء، فإمـا أن تنـزع أى أن ترغـب فـى تحقيقـه بسـلوك مـا أو تكبـت، ففـى النـزوع انتهـاك للعـرض لأنـه خـارج الإطـار الرسمـى، والكبـت إصابـة بالقهـر والألم، ولـذا وجـب التدخـل الشـرعى، لأن النـزوع قـد يـؤدى إلى السـعار فـى الهـوى الغريـزى، فإمـا أن نقابلـه بالعفـاف أو ان نلـغ فيـه، والعفـاف يـؤدى إلى الكبـت والتوتـر، و إذا تم الولـوغ فيـه فهـو هتـك للعـرض، ولـذا يمنـع منـذ البدايـة الإدراك، بمـا هـو مرئـى أو مسـموع. فهـل علمـت لمـاذا تصمـت عنـدى الكلمـة؟

المقال السادس عشر
حين يكون الصمت عنوانا

هل حاولت أن تصمت ولو لحظة، أم تخاف صمت الهواجس، ليذكرك بكثير من الوساوس؟ هل فكرت أن تعود بذاكرتك للخلف، حين تجلس على رصيف العمر، فترى زحمة العابرين، زحاما لا روح فيه؟ فزحام العمر يخلو من العاشقين، هل رأيت فى لحظة الخيال المهووس، على جدار العمر المدسوس، إنها غفلة الانتظار، غفلة من يغادر دارا غير الدار، غفلة لا تعرف الإيثار، أداعب ذاكرتى فأتذكر عذابات الشجن، عذابات العمر والزمن، حين نرى شيئا، لا تراه عيون الآخرين، أتناول عينى فى كتاب العمر أرغب أن أعصبها، حتى لا ترى، ورغم أن العين تغمض رموشها إلا أن صمت العقل يحرك كل ما فى الذاكرة، أتذكر الكثير من المواقف، مواقف يعلوها الكذب، تعلوها المواربة، ما أحمق المواربة، وما أحمق كذبا يدمر حياة المرء ويضع إكليلا من الشك، على جسد المنافقين، قد نتعلم الكثير، وتصبح من عاداتنا وقيمنا، وأرى العادات تغيرت، والأشجار تضمخت، ورغم ضخامة الأشياء إلا أنها تعج بالسوس، إن السوس ينتشر فى ذاكرة البشر، تحولنا إلى العداوة، تحولنا إلى شراسة حيوانية فيما بيننا، ونسينا أن الجرح ما عاد يلفت نظرا، وأن جرح المشاعر للآخرين صار موهبة يتقنها أغلب البشر، إن الألم الذى نعيشه فى جزيرة الصمت بداخلنا، قد يفوق ما تعلمنا، إن الأحاسيس المعقدة تكمن فى هاجس الصمت، المزيل بقائمة الذكريات الملونة، أو الرمادية، ومهما حاولنا أن ننسى ما فى ذاكرة الصمت الرهيب، المختنق، المتأوه، الباكى، الشاكى، فستظل ذاكرة الطفولة تجلس فى ركن الانطواء وتبكى على حالنا، لقد كانت مرحلة صادقة لم يلوثها فكر عابس، ولا تقمعها تصرفات وعادات وتقاليد بالية، لقد اخطأ الكثير فى أخذ طفولتى البريئة إلى جحيم الفكر المشوه، إلى الفكر المبتور،

القاصر والمقصور، وكأننا فى فكر القبور، وسيبقى بداخلنا أشياء لا تنسى مهما حاولنا أو ادعينا النسيان، لقد صار رصيف القطار عنوان البشر، إنه عنوان من لا عنوان له، رصيف بلا تخصيص، رصيف العامة، رصيف الأمة، والكل ينظر للآخر لا يبالى ولا يهتم، فتعود ذاكرتى إلى طفولتى، حين كنت أمسك بيد الجدة والعمة، حين كنت أدور حول الخالة فى محطة القطار، على رصيف الانتظار، وصارت اليوم الذاكرة المبتورة، ضاع فيها الحب وزادت الكراهة، أى نوع من الحليب رضعنا يا سادة، ورغم كل ما يحدث فى ذاكرتى المغيبة أو التى يحاول البعض تغييبها إلا أنه بداخلى سيظل عشقا، أقصى ما فى الأحاسيس يا سادة، تجاهل الآخرين، ونحن والآخرين فى ذاكرة الوطن، فهل نعيد طفولة الذاكرة لنحقق حبا بيننا، أم نترك ذاكرتنا تحترق فى صمت، أن تسيل دماء الأحبة، دون أدنى سبب، أو لا ترى ذاكرتى علة من هذا، وقفت ذاكرتى تعاتب، شيخ كتابى الذى مات، و أبرحنى ضربا فى أول يوم دخلت به الكتاب، ومعلمى الذى مات، ونسى أن يعلمنى أشياء كثيرة، ومديرى المتعجرف الذى تعين بحكم القرابة والمحسوبية، فى زمن غابت فيه تعيينات أبنائى سنوات وسنوات، وسائق التاكسى الانتهازى، وبائع الخضروات الذى يبيع لى عنوة، يمر بخاطرى، لحظات ابنتى تسرع إلى درسها الخصوصى، أين المدرسة؟ إنها حوائط صامتة، شاهدة على اغتيال التعليم، تغيبت عن المدرسة، وتذهب للدرس والحصة، استنزاف كبير، وقتا وجهدا، وتعود ذاكرتى لأرى الامتحانات، يقف المعلم يقرأ الإجابة على الطلبة، وأرى متعجرفا من الدكاترة بالجامعات، أرى هوايته تعقيد الامتحان، ويقيس ماذا؟ تذكرت فى ذاكرة الصمت عندى كيف كان يقول لى المعلم: اقرأ فى سرك؟ وعلمت أن قراءة السر مضللة، يخطئ من يقرأ بعينيه، فلا مخارج فى اللفظ تصوب، ولا تجويدا من الحرف يقرب، تيقنت ذاكرتى لسبب المشكلة، سامحينى يا ذاكرة العمر، فأنا منتقص فى التعليم والرباية ،وكثير من البشر يتبعنى، وربما كثير من الجان، فقد تحول بداخلنا الإنسان.